رحلات خليل حاوي الثلاث

بقلم خليل سليمان كلفت

خليل حاوي واحد من رواد الشعر الحر الذين خلقوا في الادب العربي الحديثشعرا يجد مكانه بين الانتاج الشعري في عصرنا في كل مكان . وفي هذا المقال الذي ليس هو دراسة لشعره وليس نقدا له وانما عرض يحمل انطباعات قارىء محب لهذا الشعر ، ارجو ان اوفق في تتبع رؤياه الشعرية في رحلات « نهر الرماد » و « الناي والريح » و « بيادر الجوع » .

وابدا بالكلام على ديوان « نهر الرماد » الذي يضم بين دفتيه خمس عشرة قصيدة نظمت بين عامي ١٩٥٣ ، ١٩٥٧ وعام ١٩٦١ .

وفي اولى قصائد الديوان : « البحار والدرويش » نلتقي بالسندباد الذيلا يسميه الشاعر باسمه ، فهذا البحار يقوم برحلة الى الشرق باحثا عن المجهول ، وبعد ان عانى دوار البحر ، وافلت من اشداق الكهوف رمته الريح للشرق العتيق والتقى بذلك الدرويش الغائب عن حسه ، والذي رث وتعفن ، ونمت الطفيليات في جلده،فيحاوره بحارنا طالبا منه ان يخبره بكنوزه المجهولة ، فيحدثه هذا عن الغيب الذي لا يفيق منه ويلقي عليه رؤياه الغاضبة علىحضارةالشاطىء الغربي ، التي هي بثور ورماد من نفايات الزمان ، وتبتر التجربة برفض البحار الذي مات الضوء في عينيه :

خلني للبحر ، للريح ، لموت
ينشر الاكفان زرقا للغريق ،
مبحر ماتت بعينيه منارات الطريق
مات ذاك الضوء في عينيه ولا ذل الصلاه

ولكن هذه القصيدة البتراء ، تحمل بذور المسائل التي سوف تستغرق شعر خليل حاوي كله .

من هذه الرؤيا المتشائمة يخرج الشاعر يعدد اسباب يأسه ويقيم الادلة والبراهين التي تدين عالمه العربي الدامي . ففيقصيدة (ليالي بيروت) معاناة لحياة بلغت تفسخا لا حد له :

وغريقا ميتا اطفو على دوامة
حرى ويعميني الدوار

ويخيم على القصيدة ظل الاستسلام التام لروحة النوم الرحيمة بل سم الانتحار :

في هنيهات يهون الكفر فيها
وتستمر البثور في التضخم والانتشار ،
وهو يرى في قصيدة (دعوى قديمة) حيابه، وحياة قومه ، في صورة بشعة :

حلوة الحي
ترى من مط ثدييها الى البطين
والوى انفها منقار بومه ؟

وعندما يقارن الحال بالامس ، يقارن بومة اليوم البشعة بمرضعة الامس الرحيمة :

حضنها كهف من الصفصاف
ريان الظلال
يطلق صيحته القويه :
كيف لا يدوي ويحتج الصدى
يدوي جريحة ؟؟

وفي قصائد « نعش اسكارى » و «جحيم بارد» وربما « بلا عنوان » و « الجروح السود » نلتقي بزوجة « لعازر عام ١٩٦٢ » يوجه اليها سهامه المرة في الاولى :

ولماذا انت ما زلت
تغنين العذارى
وصبابات العذارى ،
وصفاء الظل والينبوع في « صنين » ،
والام التي ترحم ، والاهل الفيارى
انت يا موطوءة النهدين
يا نعش السكارى !
وتغنين ، كأن الظل في عينيك
ما مات ، ولا الينبوع غارا ،
وكأن العاصف العاتي
سيرثي لبغي بعد حين تتوارى
بعد ان تمتصها الحانات
ترميها الى الشارع تفلا وغبارا ...

ونلتقي بها في الثانية ، وهي تعانيالخيبة واليأس وتتحدث باخبار زوجها الذي صرعته الرؤى السوداء وخلفته « باردا مرا مقيت » و « ليت هذا البارد المشلول ـ يحيا او يموت » ، وتقول له في نهاية الثالثة :

ابتعد ، كفاك من صخر
وفي عينيك اعياد ذليلة

وفي الرابعة يمشي الزوج وراء جنازتها البشعة :

امرأة تخفي بكف عينيها
المزرقة الرهيبة
ثم :
خليتها تروح ،
جنازة خرساء لا تنوح ،
حمى جروح
ودم يسود في الجروح

واذا كان الصراع القائم في كل هذه القصائد بين لحنين رئيسيين هما الحياة والانسان على اطلاقهما او على شروطهما العربية ، فهو صراع بين ارض خراب تتمنى لو انسحبت من اقدام الاحياء وبين انسان « جحيمه في دمه » لا يملك منه فرارا وتأتي الصرخة الاليمة :

وكيف اصبحنا عدوين
وجسم واحد يضمنا ، نفاق
انه عالم قوانينه اليأس والعجز والشلل التام

والقصيدة الثامنة في ديوان « نهر الرماد» في (جوف الحوت) تستمر في معاناة الموت:

وانا في الكهف محموم ضرير
يتمطى الموت في اعضائه ،
عضوا فعضوا ، ويموت
كل ما اعرفه اني اموت
مضغة تافهة في جوف حوت

لا وجود هنا لامكانيات الخروج من جوف الحوت ، فكل الاحلام ميتة :

وعرفت الحلم والايمان والحب القرير
نبض قلبين ، وزند لين ،
وصدى يهمسه دفء الحرير ،
صليب ورع فوق السرير
وخيال يتحدى
عتمة المجهول والسر الكبير
تموت كل هذه الاحلام العظيمة المشرقة في جو جحيمي السعير :
في مداه لا غد يشرق ،
لا امس يفوت
غير آن ناء كالصخر على دنيا تموت

ويفغر الحوت فاه ثانية ويبتلعه سجينا في القصيدة التاسعة « السجين » وهيصراع بين ماض يسبح في ضوء الشمس وضحكات الصغار وبين حاضر تمتصه عتمة السجن ويأكل جفنيه الغبار وتنحل اشلاؤه رمة ، طينا ، عظاما بعثرتها ارجل الغيران ، ويرد اليأس باب السجن في وجه النهار .

وتبلغ الرؤى السوداء نهايتها المحتومة في القصيدة العاشرة « سدوم » :

واذا نحن عواميد من الملح ،
مسوخ من بلاهات السنين
ويجرف السيل الجحيمي كل شيء .

الشاعر الذي طلب الخلاص في قصيدة « ليالي بيروت » من مروحة النوم الرحيمة وسم الانتحار ينفض عفن اليأس في قصيدة « بعد الجليد » ويخاطب تموز :

انت يا تموز ، يا شمس الحصيد
نجنا ، نج عروق الارض
من عقم دهاها ودهانا ،
عله يفرخ من انقاضنا نسل جديد —
امما تنفض عنها عفن التاريخ .
واللعنة ، والغيب الحزينا
تنفض الامس الذي حجر
عينيها يوافينا بلا ضوء ونار ،
وبحيرات من الملح البوار ،
تنفض الامس الحزينا
والمهينا
ثم تحيا حرة خضراء تزهو وتصلي

ويختم نشيده المشرق مخاطبا تموز :

بارك النسل العتيد
بارك النسل العتيد
بارك النسل العتيد
يا اله الخصب ، يا تموز ، يا شمس الحصيد

ولكن بيننا وبين رؤيا « الناي والريح » ذلك البيت .. (الذي يزهو بقابات من المدن الصبايا — لين ارصفه وجاه) مرحله عظيمه من معاناة المفير من عفن التاريخ ، من عواميد الملح ، من مسوخ من بلاهات السنين ، الى نسل جديد لا يبيد ، يشيد ذلك البيت الشامخ .

ويقف الشاعر في قصيدة (حب وجلجلة) يشيد بقومة ، يتحدى الصلب ، ويبدأ في قصيدة « المجوس في اوروبا » يضع يده على بعض اسباب الموت الذي حل بقومه ، وكأنما يرى وجهه لاول مرة ينشد نشيدا مؤثرا حزينا :

نحن لم نخلع ولم نلبس وجوه
نحن من بيروت ، مأساة ، ولدنا
بوجوه وعقول مستعاره
تولد الفكرة في « السوق » بغيا
ثم تقضي العمر في لفق البكاره

وفي قصيدة « عودة الى سدوم » ينزع الاقنعة ويعري وجوه « نسل السبايا » :

خلفتهم غزوات الشرق والغرب
لصوصا وبغايا
خرقا ، ممسحة في فندق الشرق الكبير .

ثم يرى الوجوه الصفيرة السمراء اليانعة ويصيح :

ليحل الخصب ولتجر الينابيع
ويمص « الحضر » في اثر الغزاة ،
فارس يولد من حبي لاطفالي
وحبي للحياة
لتحل المعجزات

وها هي المعجزات تعود ويخرج من صديد نهر الرماد بعث عظيم وها هي قصيدة

خليل حاوي

***

« الجسر » وهي الاخيرة في الديوان تتطلع الى خروج فرخ النسر من نسل العبيد ،والى بيت جديد حر ، والى النسل العظيم يشيده:

يعبرون الجسر في الصبح خفافا
اضلعي امتدت لهم جسرا وطيد
من كهوف الشرق ، من مستنقع الشرق
الى الشرق الجديد
اضلعي امتدت لهم جسرا وطيد

وعندما نعبر الجسر نكون في البيت الجديد ، ذلك البيت الذي :

(يزهو باعمدة الحياه —
يزهو بقابات من المدن الصبايا —
لين ارصفة وجاه —
ايصح عبر البحر تفسيخ المياه ؟)

وبعد ان نفضنا يأس ذلك الانسان الذي (لا يعرف الا انه يموت) ، ندخل ديوان « الناي والريح » لنعاني خروج الشرق الجديد من كهوف الشرق من مستنقع الشرق العتيق.

بالقصيدة الاولى « عند البصارة » نخرج تماما من معاناة الموت الى معاناة التنفير،ويقوم الصراع بين بومة التاريخ « البصارة » التي تسوق الى الشاعر رؤياها الفاجعة وبين انسان نفض عفن التاريخ ورأى الطريق . وهذا هو الشاعر يلجأ الى الغيب الحزين ليعرف مصيره الذي تعلق بما يرسم اصبع البصارة المقوس العتيق ويحل الجن في البصارة وتنجلي طرق الغيب الملعونة تسخر من هذا الذي يريد ان يعرف ماذا في غد يكون :

اراك تستحيل
لشجرة مسمومة ، ثم لتمساح عتيق
اراك تستحيل
لساحر يموه الاشياء في العيون
مهرج حزين
في مسرح الفجر .

وينكر الشاعر هذه النبوءة « نبوءة نسل العبيد » الكئيبة التي لا ترى ما يراه هو :

الا ترى ملء وريدي خمرة الشمس
عروقي شجرة البهار
دمي يحيل العفن الجاري
ثريات من العافية الخضراء والثمار

ويجيب الجن :

لست ارى

فيرد عليه بقوة :

اني ارى الطريق
من اخرس الاصداء والبروق
من احرق العتمة والظنون
كأنها من قبل ما كانت ولن تكون

ويرفض الرؤيا ويسخر منها :

اضحك من بصارة الحي
وما لفق جن ساخر لعين

وفي مزيج من الخوف من مصير اسود ، والثقة ببعث عظيم ، ندخل قصيدة « الناي والريح » لنلتقي ثانية بناسك ضفاف (كام) لنعاني معه صراع الناي المقعد الكسيح والريح الغضوب التي تقتلع الاشجار المسمومة وتذرو الاثمار المعفنة وتحملنا في طريق البعث.

ولما كان الشاعر قد قال من قبل (وجحيمي في دمي) فانه يتأمل الان دمه وما يحتوي من غازات مسمومة وسياجات عتيقة وعفن ونتن نلتقي به في صومعة (كيمبردج) يعاني الخروج ، ينغلق عليه باب الصومعة ، فنراه حبيسا بين كوم من الورق العتيق يهم بعبورها الى الباب ثم الى الطريق ولا يستطيع، ويصطرع في داخله الحان الناي الحزين من ناسك مخنول يبصق رئته على لقب وكرسي ، ويناشد سجانه بأن يعريه من هذه المسوح العتيقة :

لن يستحيل دمي الى مصل
كذبت ، كذبت ،
جروني الى الساحات ، عروني
اسلخوا غني شعار الجامعة

ومن اب وام ، ينتظرانه في صبر ، ومن :

تلك التي يبست على اسى
ومص دماءها شجي
وما احتفلت بلذات الدماء

انه يريد ان ينطلق من هذه الالحان الحزينة ويتطهر استعدادا للبعث مع الريح الغضوب، فينطلق في درب البدوية السمراء :

واحات العجين البكر ،
والفجوات اودية الهجير —
تنفض عن جدائلها حكايات الرمال

وتتطهر مما علاها من صدأ ، فها هي الريح تمسح ما تحجر من سياجات عتيقة في الدروب وفي العقول :

ماذا سوى عقدا لقباب البيض
بيتا واحدا يزهو باعمدة الحياه
يزهو بقابات من المدن الصبايا
لين ارصفة وجاه
ايصح عبر البحر تفسيخ المياه ؟

وهكذا تتطهر حلوة الحي التي مط الزمن الضنك ثدييها والوى انفها منقار بومة، تلك المرأة التي كانت تخفي بكف عينها الزرقة الرهيبة — لتخرج من الرماد عروسا مزهوة

بجيدها الطويل وجبهتها العالية ، ولكننا نترك الشاعر في نهاية القصيدة ذاهلا :

الحين بعد الحين تعبر جبهتي
صور وتثبت في الطريق
صور يشوهها الدوار
امي ، ابي ، تلك التي
تحيا تموت على انتظار
الناسك المخذول في رأسي
يشد قواه يهزني ، افيق :
بيني وبين الباب
صحراء من الورق العتيق وخلفها
واد من الورق العتيق وخلفها
عمر من الورق العتيق

ينتظر ان تعصف في مدى شفته العبارة ليقول بشارته بفطرة تحس ما في رحم الفصل تراه قبل ان يولد في الفصول .

ولكن بيننا وبين البشارة فصولا لم تنم ، تقوم فيها الكيمياء بطقوسها لتطهر هذا الانسان الذي لم يكن يعرف الا انه يموت ، والذي يحلم الان بريح البعث .

وفي قصيدة « وجوه السندباد » معاناة الميلاد بما نحتم من رعب وخوف والقصيدة تتكون من تسعة ارقام ترمز الى شهور الحمل التسعة ، ويحكي لنا الشاعر اخبار السندباد الذي عاد من رحلته وقد جارت عليه دمغة العمر السفيه فوضعت على وجه ذلك الصبي ذي الوجه الاسمر الطري الذي غص بالدمعة في مقهى المطار فناعا يحمل ما زور العمر وحفر ، بينا ترى حلوته تظل طفلة الامس واصفر ، تنتظر ، ليبذر فيها الخصب لتخضر انقاض حيابهما في اعضاء طفل :

عمره منك ومني
دمنا في دقة يسترجع
الخصب المغني

وفي هذه القصيدة الحزينة يموت بعضنا ونحتفل بطقوس دفنه (ولماذا ـ نعجن الوهم ونطلي الجمجمة ؟) ويكاد ظل الموت يخيم باعثا في القلوب رعبا مهولا (ربما عادت الى عنصرها الاشياء ـ وانحلت ضباب) ولكن البعث ينتصر ومن الصور التي تهوى لقاع لا قرار تخرج صورة جنين مكتمل الاعضاء يريد ان ينطلق (ليعبر الجسر من كهوف الشرق ، من مستنقع الشرق ، الى الشرق الجديد) .

ان هذا الجنين المكتمل الاعضاء ، هذا الوجه الاسمر الطري ، يقوم برحلة ليست كرحلاته السابقة تلك الروايات عن الغول عن الشيطان والمغارة والحيل التي تعيا لها المهارة ـ ان رحلته الجديدة هي رحلة حساب ختامي يرينا المركز المالي للشاعر الذي ضيع رأس المال والتجارة وعاد الينا شاعرا في فمه بشارة وفي قصيدة « السندباد في رحلته الثامنة » نبحر مع الشاعر في بحار اقسامها العشر يحمل داره معه ويهم بأن يفرغها مما حملت من امتعة عتيقة ومفاهيم رثة ـ كما يقول في تقديمه للقصيدة ـ وندخل الدار نتأمل ما في احد اروقته : هذا موسى يحفر في الصخر وصايا ربه العشر (الزفت والكبريت والملح على سدوم) وهذا كاهن من هيكل البعل ـ يربي افعوانا فاجرا وبوم ـ يفتض سر الخصب في العذارى ـ يهلل السكارى) و (هذا المعري ـ خلف عينيه وفي دهليزه السحيق ـ دنياه كيد امرأة لم تغتسل ـ من دمها ، يشتم ساقيها وما يطيق ـ شطي خليج الدنس المطلق بالرحيق) ومن رسوم هذا الرواق (يرشح سيل مثقل بالغاز والسموم) هو دمنا المحتقن الملغوم في العروق) ويتطهر الشاعر من صدى هذه الاشباح اللعينة ويمضي في ابحاره الى ان يبلغ شاطئا من جزر الصقيع وهنا يرى (رؤيا ما اهتدت للفظ) :

لن ادعي ان ملاك الرب
القى خمرة بكرا وجمر اخضرا
في جسدي المغلول بالصقيع
صفي عروق من دم
محتقن بالغاز والسموم
عن لوح صدري مسح
الدمغات والرسوم ،
صحو عميق موجه ارجوحة النجوم

وينتظر الشاعر وحده ذلك الشيء الذي يحسه ولا يعيه . وفي القسمين الخامس والسادس من القصيدة يعاني الشاعر اخر انتظار : ان ذلك الشيء الذي يحسه عنده ولا يعيه هو حلوة الحي تقترب خطاها الجريئة (تفتق المرجان والمرج) ويحتفل بها ايما احتفال :

كأنها في الصبح
شقت من ضلوعي
نبتت من زنبق البحار
وفي القسم الثامن تأتيه الرؤيا :
بئر جفاف فورت ،
وفورت من عتمتي مناره
اعاين الرؤيا التي نصرعني حينا ،
فابكي ،
كيف لا اقوى على البشارة ؟
شهران ، طال الصمت ،
جفت شفتي ،
متى متى تستعفي العبارة ؟

ان ذلك الشيء يقترب والرؤيا تغني في دمه برعشة البرق وصحو الصباح :

وسوف تأتي ساعة ،
اقول ما اقول .

وفي القسم التاسع تشرق الرؤيا (البشارة):

تحتل عيني مروج ، مدخنات
واله بعضه بعل خصيب
بعضه جبار فحم ونار ،
مليون دار مثل داري ودار ،
تزهو باطفال غصون الكرم
والزيتون ، جمر الربيع
غب ليالي الصقيع
يحتل عيني رواق شمخت
اضلاعه وانعقدت عقد
زنود تبتنيه ، نبتني الملحمة
ومن غنى تربتنا نستنبت
البلور والرخام

وهكذا عانى الشاعر (الموت في حب الحياة) وقد قال من قبل في قصيدة (بعد الجليد):

ان يكن ، رباه ،
لا يحيي عروق الميتينا
غير نار تلد العنقاء ، نار
تتغذى من رماد الموت فينا ،
في القرار ،
فلنعان من جحيم النار
ما يمنحنا البعث اليقينا

وفي قصيدة (عودة الى سدوم) :

عدت بالنار التي من اجلها
عرضت صدري عاريا للصاعقة

وها هو الشاعر يعود وفي فمه بشارة يقول ما يقول :

بفطرة تحس ما في رحم الفصل
تراه قبل ان يولد في الفصول

بشارة لاولئك الذين يقول عنهم في قصيدة (حب وجلجلة) :

من لولاهم ما كان لي
بعث ، حنين وتمني

ويقول عنهم في هذه القصيدة :

ما كان لي ان احتفي
بالشمس لو لم اركم تغتسلون
الصبح في النيل وفي الاردن والفرات
من دمغة الخطيئة

والان نتساءل :

ماذا حكى الشلال
للبئر والسدود
لريشة تجود التمويه تخفي
الشح في افنية العبارة ؟

وهل كان تفاؤلا ساذجا ذلك الذي فتح عين الشاعر على اشراقة الانبعاث ؟ وقصائد «بيادر الجوع» هي المحاولة على اجابة هذا السؤال، انها اختبار لامكانيات التفاؤل ومعاناة لها.

لم يحك الشلال كل شيء فها هي البشارة تضطرب في الصدور ولا يأتي الانبعاث وكيف يأتي الانبعاث وفي طبيعته ـ كما يقول تقديم لعازر عام ١٩٦٢ ـ ان يكون تفجرا من اعماق الذات ؟ ان سؤال (عودة الى سدوم) (هل تعود المعجزات ؟) لا يجعلنا نلتمسها ابعد من خاتم شهرزاد الذي ينبثق من غيب حزين فهل

كان جنونا ما جعلنا ننتظر بشارة المعجزات:
وربما توجك الجنون
اهدي اليك خاتما
يطوع الغيب لما تريد
يستنبت الياقوت والمرجان
من اودية الصوان والحديد

هذه كلمات (عند البصارة) وفي قصيدة (الكهف) اولى قصائد ديوان بيادر الجوع يقتلنا ملل الانتظار :

وعرفت كيف تمط ارجلها الدقائق
كيف تجمد ، تستحيل الى عصور

ويعاودنا الرعب :

عاينت رعب زوارق
تهوي مكسرة الصدى ،
عبثا يدوي عبر اقبيتي الصدى
غب السحاب البحر
يرسب في دمي
سمك موات
بعض اثمار معفنة ، قشور

لقد انمحت الرؤيا المشرقة وها نحن وجها لوجه امام حاضرنا ومصيرنا :

عيناي سمرتا على افق
الحديد بلا جفون
واخاف من كبريت صاعقة
يفجر فيهما ضحك الجنون
و :
ماذا سوى كهف يجوع ، فم يبور
ويد مجوفة تخط وتمسح
الخط المجوف في فتور ؟ ـ
هذه العقارب لا تدور ،
رباه كيف تمط ارجلها الدقائق
كيف تجمد ، تستحيل الى عصور

انه ليس اليأس ولكنه السأم ومعاناة الانتظار . ليس هنا شيء عن (كل ما عرفه اني اموت) ولكنه اختبار لامكانات القيام من الموت .

وفي قصيدة (جنية الشاطىء) معاناة لاستحالة التطهر ، لقد حفرت القرون دمغتها السوداء على وجه البراءة ، واذا كان الانبعاث الحقيقي يتطلب تطهرا حقيقيا تعود الحياة بعده الى براءتها الاولى ، فغبار الدهور لا تنفضه المعجزات وفي قصيدة (الناي والريح) تأملنا الريح الغضوب تمسح ما نحجر ـ من سياجات عتيقة ـ ويعود ما كانت عليه التربة السمراء في بدء الخليقة ـ بكرا لاول مرة تشهى ـ بحضن الشمس) فاننا هنا في معاناة استحالة ذلك ، ان السياجات العشر تحيط بجنيتنا و (جسد اللعينة لا يطهره العماد) وفي الصراع الناجم عن هذا المحال تستحيل جنية الشاطىء البريئة (حلوة الحي) الى (شمطاء تنبس في المزابل ـ عن قشور البرتقال ويحل بها اليأس بله الجنون .

ننتقل الان الى القصيدة الاخيرة في ديوان بيادر الجوع وهي قصيدة (لعازر عام ١٩٦٢) هذه القصيدة الرائعة الخصبة القادرة على بلوغ اعماق من الحزن بعيدة النور . يذكر القارىء ذلك الانسان القائل (كل ما اعرفه اني اموت) ويعرف الصعوبة التي تبلغ درجة الاستحالة في ان يقوم ويقف على قدميه ، ينبثق انبعاثه من اعماق ذاته . ان ضربة الساحر توقفه هنا رغما عنه وهذا هو يسوع يصرخ فيه بصوت عظيم (لعازر هلم خارجا) (فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطات يسوع حلوه ودعوه يذهب) . وماذا ينتظر باقمطة ووجهه ملفوف بمنديل . فقال لهم من ميت حجربه شهوة الموت تبعثه عناية الناصري رغما عنه ؟ اننا نلتقي به في هذه القصيدة في الاقسام الثلاثة الاولى لائذا برقاده اللذيذ الذي لا يزعجه الم الفصل يتمنى ان يستمر رقاده ويمعن فيه الى ما لا حد :

عمق الحفرة يا حفار ،
عمقها لقاع لا قرار
يرتمي خلف مدار الشمس
ليلا من رماد

يخاف من كل اسباب الحياة :

اه لا تلق على جسمي
ترابا احمرا حيا طري

ويمعن في طلب الموت الذي سلب منه :

لف جسمي ، لفه ، حنطه ، واطمره
بكلس مالح، صخر من الكبريت، فحم حجري

وكيف يحييه الناصري (لجلو ـ عتمة غصت بها اختي الحزينة) والرؤيا اللعينة لما تزل عيناه (سمرتا عليها) :

لم يزل ما كان من قبل وكان
لم يزل ما كان
برق فوق رأسي يتلوى افعوان
شارع تعبره الغول
قطعان الكهوف المعتمة
مارد حطم وجه الشمس
عرى زهوها عن جمجمه
عتمة تنزف من وجه الثمار ،
الجماهير التي يعلكها دولاب نار
من انا حتى ارد النار عنها والدوار

هذا ما يقوله من عرض صدره عاريا في سبيل الجماهير (من لولاهم ما كان لي ـ بعث ، حنين وتمني) ثم نلتقي بزوجة لعازر التي هي حلوة الحي (ترى من مط ثدييها الى البطن ـ والوى انفها منقار بومة ؟)وهي تلك البغي (انت يا موطوءة النهدين ـ يا نغش السكارى) وهي تلك التي تمنت لو انها ما زالت في الشارع تصطاد الذباب وهي (بنتهم تستمرىء الناب الذي يفرز ـ في البض الحرير ـ وليكن ناب خصي ـ ان يكن ناب اميل) وهي اخيرا جنية الشاطىء (جسد اللعينة لن يطهره العماد) وكل هذا التاريخ البشع يقف جسرا حائلا بينها وبين زوجها وعائقا عظيما دون تفاعلهما (وفي عيني عار امرأة ـ انت ، تعرت لغريب) وهي تعاني ان (جسد اللعينة لن يطهره العماد) لقد قال الشاعر اجاثون في القديم (شيء واحد لا يملك الله ذاته القوة على فعله ، ان يجعل كأن لم يكن شيئا كان بالفعل) ويبلغ بها اليأس حدا مدمرا :

غيبيني وامسحي ظلي
واثار نعالي
ياليالي الثلج ، فيضي يا ليالي ،
امسحي ظلي انا الانثى ـ
امسحي الخصب الذي ينبت
في السنبل اضراس الجراد
جاعت الارض الى شلال ادغال
من الفرسان ، فرسان المغول
هيكل يركع في النار
تئن الكتب الصفراء تنحل دخانا
في حداءات الخيول

انه سم الانتحار وما حدث لن ينمحي ابدا والصلاة لا تجدي فلن يتمشى الاله القمري في جروح المريمات ليمسحها :

الحواس الخمس فوهات مجامر
تشتهي طعم الدواهي والخراب
تشتهي طعم دمي
طعم التراب
ينطوي جسمي على جسمي
ويلتف دوائر
ثم ينحل لاجسام
تمحيها وتبنيها الظنون : ـ
انطوي في حفرتي
افعى عتيقة
تنسج القمصان
من ابخرة الكبريت ، من وهج النيوب
لحبيب عاد من حفرته
ميتا كئيب
لحبيب ينزف الكبريت
مشهود اللهيب .

ماذا اقول ؟ هل اقول انها قصيدة حزينة وليست يائسة ؟ هي في الحقيقة ليست القصيدة الساذجة التي تتفاءل او تتشاءم وهي تحتوي على كل هذه الامكانات وتعري تناقضات حياتنا (وكيف اصبحنا عدوين ـ وجسم واحد يضمنا ، نفاق) والقصيدة تملأنا بالحزن العميق الذي يعانيه الشاعر وهو يواجه مرارة واقعنا بعد ان يلقي بعيدا بخاتم شهرزاد الذي يخلق جنات من الاوهام لا سبيل اليها .

القاهرة — خليل سليمان كلفت